تفريغ الدرس الرابع

لمقرر مسائل الجاهلية للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–

يوم الخميس الموافق 7 نوفمبر 2019م (1441هـ).

بمسجد الإمام مسلم – مصر – الاسكندرية– العصافرة القبلى

بشرح فضيلة الشيخ الدكتور/ طلعت زهران– حفظه الله

البرنامج العلمى التأصيلي للعلوم الشرعية –مصر–الاسكندرية – وخارجها

.....

..

ملاحظة مهمة جدا: التفريغ تم من قبل الطالبات وخاصة الطالبة المدرجة تحت رقم قيد (070) و (031) و(071): ويفضل الإستماع إلي الصوتية نفسها أفضل.. لأن هناك اخطاء الاملائية أو اللغوية غير مقصوده . فالاستماع للصوتية أمر ضرورى حتى يكمل الفهم بشكل جيد.

(هذا مجهود الطالبات نرجو الاستفادة منه وجزاهم الله عنا كل خير)

.....

بسم الله والحمد والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: (فوصلنا إلى المسألة الخامسة من مسائل الجاهلية).

❖ والمَسْأَلَة الخَامِسَة:

((أَنَّ مِنْ أَكْبَرِ قَوَاعِدِهِم الإِغْتِرَارَ بالأكثر))؛ الاعتبار بالأكثر، ((ويحتجون به على صِحَة الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته))؛ يعني إذا كان الشيء غريب أو قليلا فإنهم يقولون هذا باطل، ((ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقله أهله؛ فأتاهم))؛ أي أتاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ((بضد ذلك))؛ أو أتاهم الإسلام بضد ذلك، ((وأوضحه في غير موضع من القرآن)).

والله -عز وجل- ما مدح الكفرة، بل إن الله -سبحانه وتعالى- قال: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}[الفرقان: 44].

والغالب على أكثر الناس الحُمق والجهل وضعف العقول، والعاقل الفاضل نادر جدًا وقليل، وكل عاقل ناصح لنفسه يحرص على أن يكون من القليل الناجي ويحذر أن يكون من الكثير الهالك؛ يعني الواحد فينا يهمه ويكون من الفرقة الناجية بدل أن يكون من الكثرة الهالكة.

والحق ما كان موافقاً لما جاء به نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- حتى وإن قلّ اتباعه والباطل ما خالفه وإن كثر أتباعه.

ولقد وصف الله -سبحانه وتعالى- أهل الإيمان والعمل الصالح بأنهم قليل، قال -سبحانه-: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ}[ص : 24].

وقال –تعالى-: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}[يوسف: 106].

وقال –تعالى-: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}[يوسف: 103].

وقال –تعالى-: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}[المائدة: 49].

وقصَّ الله علينا في القرآن قصة طالوت، فإن طالوت فصل بالجنود، جنود كثيرون جدا، {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ} -عليه السلام- {بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ}؛ يعني كلهم {إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ}؛ فانظر الأكثرية دائما تسرع إلى المعصية، { فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}؛ يعني الكثرة شربت من النهر وتخلفوا، ثم القلة التي خرجت معه القلة هذه {قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}؛ إلا أقل القليل، {قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ}؛ القليل جدا منهم الذين يعتقدون اعتقادا جازما {أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}[البقرة: 249]؛ وانتصر طالوت -عليه السلام- وقتل داود جالوت،

انتصر بالقلة ولا بأقل القليل؟ بأقل القليل، فدائمًا الكفرة ليست فيها العبرة.

قال ابن كثير –رحمه الله- في تفسيره:

{وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}؛ أي أن أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه، قال –تعالى-: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}، وأخبر الله –تعالى- عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم، حال أكثر أهل الأرض الضلال؛ لأن الله -عز وجل- قال: {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ}[الصافات: 71].

فسبحان الله، هم في ضلالهم ومع ذلك على يقين من باطلهم أنه هو الحق -والعياذ بالله-، ولكن هم يعيشون ظنوناً كاذبة وحسابات باطلة.

وكثرة أهل الكفر والباطل؛ هل تعني أن أهل الحق لما يجدوا أنفسهم قليلين جداً هل يستسلموا لأهل الباطل أم يصبروا على ما هم فيه؟

لابد أن يصبروا وأن يثبتوا وأن يرابطوا وأن يتقوا الله وأن لا يتقاعسوا عن نشر الدين والدعوة إليه.

قال ابن القيم –رحمه الله- في مدارج السالكين بعد أن ذكر صفات الغرباء، إذًا الغرباء تنافي الكثرة، بل الغرباء توافق أقل القليل؛ قال: ((فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون -يعني الذين يمدحهم الله-

المغبوطون -الذين يحسدهم الناس-، ولقلتهم في الناس جدًّا سُمُّوا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء)) يعني أنت ترى المسلمين في العالم الآن بالنسبة لتعداد سكان العالم والمسلمين، إذاً المسلمين غرباء في خضم الناس، ((والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء –والمؤمنين الخُلَّص في المسلمين غرباء- وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة في أهل العلم - الذين يميزونها من الأهواء والبدع - فهم الغرباء والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكنهم أهل الله حقًّا)).

الشيخ ابن القيم -رحمه الله- يقول:

- المسلمون في الناس قليلون،
- والمؤمنون في المسلمين قليلون،
- وأهل العلم في المؤمنين قليلون،
- وأهل السنة في أهل العلم قليلون،

هم الفرقة الناجية دائما قليلون، و هم صابرون على أذى المخالفين وغربتهم بين الأكثرين، قال الله – عز وجل- عن الأكثرين: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[الأنعام: 116]، فاولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه وغربتهم هي الغربة الموحشة حتى ولو كانوا كثيرين جدَا.

فالبعداء عن الله هم الغرباء في الحقيقة، لو كان الناس يعلمون.

ولذا مدح الله -عز وجل- القلة فقال: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[سبإ: 13]، والشكر أعظم العبادات لله -عز وجل- وانظر ممكن الفرقة الناجية تكون قليلة أو تكون أقل أو تكون الأقل أو تكون واحدة، فانظر لما خَدَعَ المعتزلة المأموم، المأموم خليفة المسلمين يحكم أقوى دولة في العالم استجاب للمعتزلة، وامتحن الناس بالقول بخلق القرءان، امتحن الناس بذلك، والناس صاروا في همٍ وغمٍ شديدَين، وثبت القليل جداً جداً جداً، وكان أحمد بن حنبل -رحمه الله- أثبتَ الناس، ثبت ثباتًا عظيماً.

وعَلِيّ ابن المديني رغم أن علي بن المديني نفسه يعني سيقع في هذه الفتنة وقوعاً ما،

علي ابن المديني يقول: إن اللَّه أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث، أَبُو بَكْر الصديق يوم الردة، وأَحْمَد بْن حَنْبَل يوم المحنة؛ فقارن بين أحمد بن حنبل في ثباته في المحنة الكبرى وبين الصديق في ثباته إزاء المرتدين ومدعي النبوة ومانعي الزكاة.

وقال الميموني: سمعت عَلِيّ ابن المديني يقول: ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رَسُولِ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما قام أَحْمَد بْن حَنْبَل، قلت له: يا أبا الحسن، ولا أَبُو بَكْر الصديق؟ قَالَ: ولا أَبُو بَكْر الصديق، إن أبا بكر الصديق كَانَ له أعوان وأصحاب، وأَحْمَد بْن حَنْبَل لم يكن له أعوان ولا أصحاب.

فشايف فضّل موقف أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- على موقف مَن؟ من إيمانه يزن إيمان الأمة إلى يوم الدين، ولكن المتربصة المجرمون لا يفقهون هذا الكلام، واحد إسمه شر مش عارف إسمه الشر ينتقد أن نحن نتكلم على موقف صلاح الدين -رحمه الله-.

سبحان الله، موقف صلاح الدين لم يجد على الخير أعوان، الشيعة ضده والنصارى ضده والبزانطين ضده والصلبيين ضده والكل ضده، ويقف موقفا رهيبا جدا فيهزم الله به الشيعة ويهدم به الصلبيين ويذل ملوك أوروبا ويكونون واقفين أمامه عبيد كالبط، لدرجة أن الفلاح المصري يبيع ثلاثين ضابط أوروبي بنعل، عبيد وهم عبارة عن ملوك وقادة ونبلاء وبارونات، يوزع الغنائم صلاح الدين فتجي لك أنت ثلاثين لوا ثلاثين عميد على عقيد على مقدم، ويأخذهم رجل فلاح ويبيعهم بنعل، سبحان الله.

فالمقارنة بين المواقف ليس معنى ذلك أن صلاح الدين أفضل من أي أحد من الصحابة، لكن المتربصة المجرمون لا يفهمون الأشياء الغريبة جدا.

فهنا يقول: ولا أبو بكر الصديق، إن إبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب.

وأحمد بن حنبل أهل العلم كانوا معه في البداية، وأستاذه علي بن المديني، وأَعْلَمُ النَّاسِ بِحَدِيْثِ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو علي ابن المديني.

قَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مَعْقِلٍ: سَمِعْتُ البُخَارِيَّ يَقُوْلُ: مَا اسْتَصغَرْتُ نَفْسِي عِنْدَ أَحَدٍ إِلاَّ عِنْدَ عَلِيِّ بنِ المَدِيْنِيِّ. والبخاري من أكابر شيوخ علي بن المديني.

وقَالَ أَحْمَدُ بنُ يُوْسُفَ البُجَيْرِيُّ: سَمِعْتُ الأَعْيَنَ يَقُوْلُ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بنَ المَدِيْنِيِّ مُستَلْقِياً -شبه نائم- وأَحْمَدُ عَنْ يَمِيْنِهِ وَابْنُ مَعِيْنٍ عَنْ يَسَارِهِ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيْهِمَا.

ولما حصلت الفتنة الضغط اشتدَّ على علي ابن المديني، اشتد الضغط عليه، ومنعوا راتبه سنتين.

قال ابن أبي دؤاد للمعتصم، والمعتصم هو الذي نكل بأحمد بن حنبل -رحمه الله-، ليس المأموم المأموم لم يدرك المأموم لم يستطع، لما أتوا بأحمد بن حنبل وحملوه الى طرسوس وصل طرسوس مات المأموم، فاستلم الخلافةَ المعتصم، هو الذي أمر بضرب أحمد بن حنبل ضرباً شديداً جداً وسجنه تعذيبه.

قَالَ ابن أبي دؤاد لِلْمُعْتَصِمِ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ هَذَا يَزْعُمُ -يَعْنِي: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ- أَنَّ اللهَ يُرَى فِي الآخِرَةِ، -ورؤية الله في الآخرة متواترة- قال: والله لا يُحَد؛ يعني هو يقول أن الله يُرى في الآخرة بالعين والله لا يُحَد؛ يعني أن الله ليس محدودًا كي تستطيع العين أن تراه،

فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: عندي يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ عِنْدِيَ مَا قَالَهُ رَسُوْلُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَ: وَمَا قال؟ قَالَ: حَدَّثَنِا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ إِسْمَاعِيْلَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ جَرِيْرٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي لَيْلَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فَنَظَرَ إِلَى البَدْرِ فَقَالَ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا البَدْرَ لاَ تُضَامُوْنَ فِي رُؤْيَتِهِ))

فَقَالَ لِابْنِ أَبِي دؤاد: مَا تَقُوْلُ؟ قَالَ: أَنْظُرُ فِي إِسْنَادِ هَذَا الحَدِيْثِ، ثُمَّ انْصَرَفَ. ابن أبي دؤاد هُزِم ، أحمد ابن حنبل ساق حديث كتم في ابن أبي دؤاد،

فابن أبي دؤاد راح إِلَى عَلِيِّ بنِ المَدِيْنِيِّ وَعَلِيٌّ استاذ أحمد ابن حنبل، فوجّه إلى علي ابن المديني وفي بَغْدَادَ، وجَّه له مبلغًا كبيرا جدا من الدراهم فَأَحضَرَهُ فَمَا كَلَّمَهُ بِشَيْءٍ حَتَّى وَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلاَفِ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: يا علي ابن المديني هَذِهِ وَصَلَكَ بِهَا أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ، تحفة من أمير المؤمنين، وَأَمَرَ أمير المؤمنين أَنْ يُدفَعَ إِلَيْك جَمِيْعُ مستحقاتك على مدى السنتين الماضيين، رزق السنتين الذي لم يجر عليك،

ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا الحَسَنِ! حَدِيْثُ جَرِيْرِ بنِ عَبْدِ اللهِ فِي الرُّؤْيَةِ مَا هُوَ؟ قَالَ: حديث صَحِيْحٌ –هو حديث متواتر-. قَالَ: فَهَلْ عِنْدَكَ عَنْهُ شَيْءٌ؟ قَالَ: يُعفِينِي القَاضِي مِنْ هَذَا. يعني عافِني يا ابن دؤاد عن هذا،

قَالَ: هَذِهِ حَاجَةُ الدَّهْرِ. ثُمَّ هذه أَوامِر بِثِيَابٍ وَطِيْبٍ وَمَرْكَبٍ بِسَرجِهِ وَلِجَامِهِ. وَلَمْ يَزَلْ يعطيه يعطيه، حتى قال علي ابن المديني لَهُ: له فِي هَذَا الإِسْنَادِ مَا لاَ يُعَوَّل عَلَيْهِ وَلاَ عَلَى مَا يَرْوِيْهِ، وَهُوَ قَيْسُ بنُ أَبِي حَازِمٍ، قيس ابن أبي حازم ثقة عظيم جداً، ولكن علي ابن المديني قال: ما لا يُعَوَّل عليه،

إِنَّمَا كَانَ أَعْرَابِيّاً بَوَّالاً عَلَى عَقِبَيْهِ –هذا كله غير صحيح-. فقال ابْنُ أَبِي دُؤادَ : مهلا مهلا، ثم قام فاعتنقه، فرح فرحة، لأنه أعطاه دليل الذي يستطيع به أن يرد على الإمام.

فَلَمَّا كَانَ الغَدُ وَحَضَرُوا عند المعتصم قَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادُ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ يَحْتَجُّ فِي الرُّؤْيَةِ بِحَدِيْثِ جَرِيْرٍ، وَإِنَّمَا رَوَاهُ عَنْهُ قَيْسٌ ابن حازم، وَهُوَ أَعْرَابِيٌّ بَوَّالٌ عَلَى عَقِبَيْهِ؟ قَالَ: فَقَالَ أَحْمَدُ بَعْدَ ذَلِكَ: فَحِينَ أَطَّلَعَ لِي هَذَا، عَلِمتُ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ عَلِيِّ بنِ المَدِيْنِيِّ، فَكَانَ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ مِنْ أَوْكَدِ الأُمُورِ فِي ضَرْبِ أحمد في هذا،

لأنه ما قبل هذا الكلام، لأن قيس ابن أبي حازم ثقة، كيف يقول أنه أعرابي بوَّال على عقبيه؟

الترهيب يُعذَر به إذا اشتد كما عُذِرَ عمار -رضي الله عنه-، لكن الترغيب لا يُعذر به الإنسان، والترغيب الذي هو الإعطاء.

قَالَ المَرُّوْذِيُّ: سَمِعْتُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ العَسْكَرِ يَقُوْلُ لأَبِي عَبْدِ اللهِ: ابْنُ المَدِيْنِيِّ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ فَسَكَتَ أحمد. فَقُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللهِ، قَالَ لِي عَبَّاسٌ العَنْبَرِيُّ: قَالَ عَلِيُّ بنُ المَدِيْنِيِّ: وَذَكَرَ رَجُلاً، فَتَكَلَّمَ فِيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُم لاَ يَقبَلُوْنَ مِنْكَ إِنَّمَا يَقبَلُوْنَ مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ. قَالَ: قَوِيَ أَحْمَدُ عَلَى السُّوطِ، وَأَنَا لاَ أَقْوَى.

هنا علي ابن المديني يحتج ويقول: هو يحتمل على السوط وأنا لا أحتمل، لكن هو ما كان هُدِّد بالسوط أصلًا هو رُغِّب، لكن لو لم يقبل الترغيب كان لابد من ضربه؛ فدخل علي ابن المديني إلى بن أبي دؤاد بَعْدَ مَا تَمَّ مِنْ مِحْنَةِ أَحْمَدَ مَا جَرَى فَنَاوَلَهُ رُقْعَةً، قَالَ: هَذِهِ طُرِحَتْ فِي دَارِي فَإِذَا فِيْهَا:

يَا ابْنَ المَدِيْنِيِّ الَّذِي شُرِعَتْ لَهُ دُنْيَا فَجَادَ بِدِيْنِهِ لِيَنَـــــالَهَـــــا

مَاذَا دَعَاكَ إِلَى اعْتِقَـادِ مَقَالَـــــةٍ قَدْ كَانَ عِنْدَكَ كَافِراً مَنْ قَالَهَا

أَمرٌ بَدَا لَكَ رُشْدُهُ فَقَبِلْتَـــــــــــــــه أَمْ زَهْرَةُ الدُّنْيَا أَرَدْتَ نَوَالَهَـــــا

فَلَقَدْ عَهِدْتُكَ لاَ أَبَا لَكَ مَـــــرَّةً صَعْبَ المَقَادَةِ لِلَّتِي تُدْعَى لَهَا

احنا كنا نظنك أنك لا تستجيب في الآخرة، زهرة الدنيا تستجيب لها؟

فقَدِمَ ابْنُ المَدِيْنِيِّ البَصْرَةَ فَصَارَ إِلَيْهِ بُنْدَارُ فَجَعَلَ عَلِيُّ ابن المديني يَقُوْلُ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ، قَالَ أبو عبد الله، قال أبو عبد الله. فقال بندار على رؤوس المَلأِ: مَنْ أَبُو عَبْدِ اللهِ، أَأَحْمَدُ بنُ حنبل؟ قال: لا، أحمد بن أبي دؤاد. فَقَالَ بُنْدَارُ: أَحْتَسِبُ عِنْدَ اللهِ خُطَايَ، شُبِّه عَلَيَّ هَذَا وَغَضِبَ وَقَامَ.

وقَالَ أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ: كَانَ عِنْدَ إِبْرَاهِيْمَ الحَرْبِيِّ قِمَطْرٌ-درج- مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ المَدِيْنِيِّ وَمَا كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ. فَقِيْلَ لَهُ: لِمَ لاَ تُحَدِّثُ عَنْهُ؟ قَالَ: لَقِيْتُهُ يَوْماً وَبِيَدِهِ نَعْلُهُ، وثِيَابُهُ فِي فَمِهِ فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: أَلْحَقُ الصَّلاَةَ خَلْفَ أَبِي عَبْدِ اللهِ. فَظَنَنتُ أَنَّهُ يَعْنِي أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَبُو عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: ابْنُ أَبِي دؤاد. فَقلتُ: وَاللهِ لاَ حدثت عنك بحرف.

قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ المَوْصِلِيُّ فِي "تَارِيْخِهِ" قَالَ لِي عَلِيُّ بنُ المَدِيْنِيِّ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَفِّرَ الجَهْمِيَّةَ، وَكُنْتُ أَنَا أَوَّلاً لاَ أُكَفِّرُهُمْ؟ فَلَمَّا أَجَابَ عَلِيٌّ إِلَى المِحْنَةِ، كَتَبْتُ إِلَيْهِ أُذَكِّرُهُ مَا قَالَ لِي وَأُذَكِّرُهُ اللهَ. فَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ عَنْهُ: أَنَّه بَكَى حِيْنَ قَرَأَ كِتَابِي. ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدُ فَقَالَ لِي: مَا فِي قَلْبِيَ مِمَّا قُلْتُ وَأَجَبتُ إِلَى شَيْءٍ وَلَكِنِّي خِفتُ أَنْ أُقْتَلَ، وَتَعْلَمُ ضَعْفِيَ أَنِّي لَوْ ضُرِبتُ سَوْطاً وَاحِداً لَمِتُّ أَوْ نَحْوَ هَذَا.

وقَالَ ابْنُ عَمَّارٍ: وَدَفَعَ عَنِّي عَلِيٌّ امْتِحَانَ ابْنِ أَبِي دُوَادَ إِيَّايَ شَفَعَ فِيَّ وَدَفَعَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ المَوْصِلِ مِنْ أَجْلِي فَمَا أَجَابَ دِيَانَةً إِلاَّ خَوْفاً.

يعني يريد يعذره فقال هو أجاب خوفًا؛ أحمد ابن حنبل وجد أن أقرب الناس وأشد الناس، أستاذه علي ابن المديني وقع، ولكنه ثبت وحده.

فإذًا هذه المسألة مهمة لا تغتر بالأكثرين، جماع المسألة كما ذكرت لك:

- أهل الاسلام في العالم قليل وغرباء،
- والمؤمنون في المسلمين غرباء،
- وأهل العلم في المؤمنين قليل وغرباء،
- وأهل السنة في أهل العلم غرباء، فطوبى للغرباء

فهذه الخامسة، ننتقل إلى السادسة، واحنا قلنا أن المسألة الرابعة والخامسة والسادسة متداخلة.

❖ السادسة: الإقْتِدَاء بِالعَالَم الفَاسِقْ.

قال: ((الاحتجاج بالمتقدمين، كقوله: {فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُوْلَى}[طه: 51]؛ لما موسى -عليه السلام- كلَّم فرعون لعنة الله عليه قال فرقون {فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُوْلَى}؛ أنت جاي تقول له: أن الله واحد والقرون الاولى كلها تواضعت على عبادة الفرعون، فهنا الاحتجاج بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل.

فلا ينبغي الاقتداء بفسقة أهل العلم ولا بجهَّالهم بل ولا عبادهم؛ لأن العابد ليس له دليل علمي، نحن نتبع العلماء ولا نتبع العباد، فالله -عز وجل- قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِن الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[التوبة: 34].

وقال –تعالى-: {قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}[المائدة: 77]،

فالقرآن ينادينا ببطلان الاقتداء بالفساق وأهل الضلالة وأهل الغي، وهذا كله الذي هو الإقتداء بهؤلاء هو من سنن الجاهلية ومن طرائق الجاهلية المعوجة.

ولذا أهل الجاهلية لما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أو الأنبياء كل الأنبياء يأتونهم بالخير وبالهدى وبالحق يقولون: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِين}[المؤمنون: 24]؛ فهم يتبعون الآباء بلا دليل، بل حجتهم ما كان عليه الآباء، ولذا قال فرعون {فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُوْلَى}.

فهم يتبعون دون تحكيم العقل ودون الأخذ بالدليل الصحيح، والله عز وجل أبطل ذلك.

قال ربنا -سبحانه وتعالى- على لسان فرعون: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى(49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُم}[طه: 49-53]؛ فموسى -عليه السلام- هنا يبين له الدليل الذي يستدل به على الربوبية وعطاءات الربوبية في وجوب الألوهية.

فيقول له:{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}...عطاءات الربوبية التي هي خلق وملك وتدبير، إذًا لابد من عبادته وحده، لأننا قلنا أن الربوبية هي الدليل على الألوهية.

وقال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَات قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِين (36) وَقَالَ مُوسَى رَبِي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}[القصص: 36-37]؛ العبرة بالهدى لا بالآباء.

ولذا إبراهيم -عليه السلام-: {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ(76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ}[الشعراء: 75-77].

وقال –سبحانه-: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23) فَقَالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ}[المؤمنون: 23-24]؛ نوح عليه السلام أول رسول للبشرية، ردوا عليه {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ}، ثم اتَّهموه بالجنون {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ}[المؤمنون: 25].

وقال عن محمد -صلى الله عليه وسلم- وقومه: {وَانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ}[ص : 6-7].

فجعلوا مدار احتجاج على عدم قبول ما جاء به الحق وما جاءت به الرسل أنه لم يكن عليه أسلافهم، ولا عرفوه منهم، فانظر إلى سوء مداركهم، وجُمود قرائحهم جمود عقولهم، ولو كانت لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون بها أو قلوب يفقهون بها لعرفوا الحق بالدليل.

إذًا نحن نتبع الدليل لا آباء ولا غير آباء لا نتبع إلا الدليل، ولا انقادوا لليقين من غير تعطيلٍ ولا تعليل، وفكذا تشابهت قلوبهم هذه قوم نوح وقوم إبراهيم وقوم موسى وهذه قوم محمد –صلى الله عليه وسلم- أجمعين كلهك يردون بهذا ما وجدنا عليه آباءنا فهذه المسألة السادسة.

❖ المسألة السابعة: ((الاحتجاج على الحق بقلة أهله))

والمسألة السابعة داخلة على المسألة الرابعة أو الخامسة

ونحن قلنا أن المسألة السابعة ضد مسألة الاغترار بالكثرة، فالقلة ليست دليلا على البطلان، واحنا قلنا أن طالوت في النهاية لم ينتصر إلا بأقل القليل وليس بالقلة؛ لأنهم شربوا منه إلا قليلا منهم، القليل هم الذين انتصروا؟ لا {قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا اليَومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}، لكن أقل القليل هم الذين انتصر بهم طالوت -عليه السلام-.

فالاعتماد على الكثرة، والاحتجاج بالسواد الأعظم ودا أنتم في أعمالكم وأشغالكم وأسواقكم وحياتكم وتعاملاتكم؛ تجدون الناس تقول لكم: يعني كل الناس على باطل وانتم على الحق؟ كل الناس لا يفهمون حاجة وانتم كذا؟

ولذا احنا في مصر في هذا المسجد الشوارع هنا لما قامت مصيبة 25 يناير، أنا كنت ماشي وجنبي عبد القادر وثنين ثلاثة ونكلم الناس إنت تكلم ناس لهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها،

تكلمهم: يا اخواننا اتقوا الله، حرام ، يقول : كل الناس هذه ميدان التحلين لي مليان ناس والناس كلها تفعل والثورات، وانتم فقط اناس تقولون حرام، فدائما الاحتجاج بالكثرة هو الذي يضيع العباد - والعياذ بالله-.

قال –تعالى-: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[الأنعام: 116]؛ إذًا أدلة هذه المسألة السابعة هي نفسها أدلة المسألة الخامسة.

ولكن الشيخ جابها خلاص، والشيخ قلنا هذه عنده رؤوس أقلام؛ يعني هذا الكتاب الوحيد الذي كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب كرؤوس أقلام؛ يعني لن يعطيه مثل ما أعطى في المؤلفات الأخرى.

قال ربك –سبحانه-: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ}[القلم: 7].

فالكثرة في الغالب تكون على خلاف الحق، فلابد للإنسان أن يتبع الحق وإن قل أنصاره، قال –تعالى-: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ}[ص: 24]، فدائما هي القلة في الغالب بيكون معها الحق.

ولذا لأول مرة المسلمون في غزوة من الغزوات يجدوا أنفسهم كثيرين في غزوة حنين، الغزوة الوحيدة، في بدر هم الثلث في أحد العالم يحاصرهم في مدينتهم ويضربونهم في مدينتهم، في الخندق كذلك، سبحان الله، ففي كل مرة المسلمون قليل وينصرهم الله -عز وجل-، لكن في غزوة حنين كانوا كثيرين جدا، ولذا {وَيَومَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُم شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}[التوبة: 25]؛ الكثرة فالإنسان لا يعول على الكثرة بل يخاف، بل يخشى الكثرة.

ولذا سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث يعطي الدرس ثلاث عبيد، أول ما يدخل الرابع، يقولون: دخل الرياء.

فلما أعجبتهم كثرتهم في حنين هزموا في أول الأمر، ولا نقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- هُزِم ولكن نقول القوم هزموا وولوا الأدبار ثم ثبت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومعه أقل القليل فانتصر.

فغزوة حنين فيها دليل على سوء الكثرة، وفيه دليل على ثبات القلة وانتصار القلة، فقد ثبت،

أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، فانتصر نصرا مبينا -صلى الله عليه وسلم-.

ولذا هنا داود -عليه السلام- يقول: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ}، فأخبر الله عن أهل الحق أنهم قليلون، ولكن هل القلة تضرهم؟ لا

قال الشاعر:

تعيرنا أنا قليل عديدُنا فقلت لهم إن الكرام قليل

سبحان الله، والكرام هم ينبغي التشبه بهم، لأن الشاعر يقول:

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

فإن قلَّ العالمون والعارفون المنقادون بالله وظهر الأكثرون فلا تغتر بذلك، بل عليك دائما أن تبحث عن الدليل، لأن الله قال: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة: 111].

فسبيل الجاهلية ترك الدليل، وسبيل أهل الإسلام هو اتباع الدليل.

فهكذا نكون انتهينا من المسألة الخامسة والسادسة والسابعة، بارك الله فيكم.

ملاحظة مهمة جدا: التفريغ تم من قبل الطالبات وخاصة الطالبة المدرجة تحت رقم قيد (070) و (031) و(071): ويفضل الإستماع إلي الصوتية نفسها أفضل.. لأن هناك اخطاء الاملائية أو اللغوية غير مقصوده . فالاستماع للصوتية أمر ضرورى حتى يكمل الفهم بشكل جيد.

(هذا مجهود الطالبات نرجو الاستفادة منه وجزاهم الله عنا كل خير)